

٩٣/٠٥/٢

• دريافت

٩٤/٣/١٨

• تأييد

## جمالية السيميائية في قصيدة "بانت سعاد"

(دراسة تحليلية و دلالية)

دكتور جهانگير اميرى \*

مهدي پورآذر \*\*

نورالدين پروين \*\*\*

### الملخص

تعتبر لغة الشعر من أبرز و أسمى التماذج الأدبية التي يرتبط فيها اللفظ بالمعنى ارتباطاً وثيقاً و الميزة الأساسية التي تتسم بها لغة الشعر أن طريقة التعبير فيها طريقة غير مباشرة ما يمنحها حيوية و ديناميكية على صعيد الدلالة و المضمون و تمكن السامع أو القارئ من تفسيرها بالطريقة التي تنسجم مع أفكاره و رؤاه. الشيء الذي له دور محوري في الفهم العميق للنص الأدبي هو دراسة علمية لعناصر لغة النص و اتجاهاته الأدبية. من هذا المنطلق الاتجاه السيميائي من أهم و أبرز الاتجاهات التي يستطيع القارئ في ظلها أن يتوغل في أعماق النص بفك الألفاظ عن دلالاته السيميائية. يهدف هذا المقال إلى تحليل قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، تحليلاً سيميائياً و يكشف عن الجماليات الخفية في النص مستعيناً بالمنهج الوصفي- التحليلي. و من النتائج التي توصلنا إليها عبر المقال أن القصيدة تعكس المخاوف و القلق الضاغط على نفسية الشاعر في ضوء الدلالات الرمزية و الإيحاءات السيميائية التي شكّلت لحمة القصيدة. فتحة تناغم واضح بين ألفاظ القصيدة و محتواها.

### الكلمات الرئيسية:

جمالية السيميائية، بانت سعاد، كعب بن زهير، الرسول الأعظم (ص).

Jaamiri686@gmail.com

\* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة رازي.

\*\* طالب مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة رازي.

\*\*\* طالب مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة رازي.

## ١. المقدمة

يتمّ في الشعر إيصال الرسائل عن طريق الأساليب البيانية وجماليات اللغة. بناءً على ذلك أن الطرائف المعنوية وجماليات اللغوية التي تحتويها النصوص الأدبية لا تعدّ من معانيها، بل بالعكس تعتبر من أهمّ العناصر الجمالية فيها، حيث تزيد من طاقتها الإيحائية و تضيف عليها جمالاً و روعة تبعث على متعة فنية و أدبية لدى السامعين. ذلك لأنّ عملية تأدية المعنى و إيصال الرسالة في النصّ الأدبي، إنّما تتمّ من خلال فكّ الألغاز و الأسرار المحيطة بالنصّ. المداليل التي يحملها النصّ الأدبي تختبئ وراء مجموعة من التناؤيلات البيانية الرامية إلى إثراء الطاقة الخيالية عند المخاطب المتلقى. أو كما قال شفيعي كدكني "الشعر قطار يجري في نفق اللغة" (شفيعي كدكني، ١٣٥٨: ١١).

الاتجاه السيميائي بوصفه أحد أهمّ المناهج النقدية المعاصرة يرمى إلى عملية البحث و التنقيب عن العناصر اللغوية و الدلالات البيانية التي تؤدي في نهاية المطاف إلى الكشف عن المعاني المحفوفة بالإيحاءات السيميائية. في هذا السياق أن قصيدة "بانت سعاد" تعتبر من أهمّ و أبرز القصائد التي تحمل في طياتها دلالات رمزية و سيميائية استرعت انتباه الباحثين عبر القرون و الأعصار (سيد إبراهيم، ١٩٨٦ م: ١٧٥). و المكانة المرموقة التي تحتلها هذه القصيدة جعلت الأدباء و النقاد يعيرونها بالغ اهتمامهم و كبير عنايتهم. فأكبوا على دراسة ألفاظها و محتواها. و الشهرة الواسعة التي نالتها القصيدة حثّ الشعراء على تقليدها و نظم قصائدهم على منوالها (المحاسنة، ١٤٢٦ ق: ١٧٣).

و قد ذكر المؤرخون لسيرة النبي الأعظم (ص) في آثارهم السبب الذي حمل الشاعر على نظم قصيدة "بانت سعاد". من هذا المنطلق تطرقت هذه المقالة إلى دراسة القصيدة اعتماداً على الدراسات الحديثة التي تمّت بصلّة إلى الاتجاهات السيميائية. فأما هذا البحث فإنه محاولة هادفة إلى دراسة قصيدة

"بانة سعاد" لكعب بن زهير في ضوء الاتجاه السيميائي و تأويلاته الموحية ضمن الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. ما هي أهم السمات البارزة للجماليات السيميائية الموحية في أسلوب كعب بن زهير الشعري؟
٢. ما هي أهم و أبرز الأفكار التي نستجليها في ظل الدراسة السيميائية لقصيدة «بانة سعاد»؟

#### ١-١. خلفية البحث

هناك دراسات و كتبٌ قد أنجزت حول السيميائية و قصيدة "بانة سعاد". من أهمها:

١. الدكتور فرامرز ميرزايي و طيبه اميريان في مقالتهما "التحليل السيميائي لرواية "رحلة ابن فطومة" العناوين و الشخصيات" يتطرقان إلى تبين سيميائية العناوين و الشخصيات في رواية "رحلة ابن فطومة" و الكشف عن رمزية الرواية في إطار التحليل السيميائي.

٢. الدكتور احمد پاشا زانوس و زهرا رجب زاده في مقالتهما المعنونة بـ "نظرة عابرة على مقدرة ابن هشام النحوية في شرحه على قصيدة "بانة سعاد" لكعب" يدرسان بصورة عابرة شخصية ابن هشام العلمية و لاسيما النحوية و منهجه في شرح القصيدة.

٣. آفرين زارع و طاهره طوبايي في مقالتهما المعنونة بـ "تحليل سيميائي لرائية ابن العرندس و مقارنتها مع أشعار معاصريه" تحاولان البحث عن أسباب نجاح هذه القصيدة خلال دراسة سيميائية تحليلية مقارنة بينها و بين أشعار معاصريه.

٤. الدكتور على أرشيد المحاسنة في مقالته المعنونة بـ "الدكتور جاسر أبو صفيية و قصيدة بانة سعاد دراسة تقديمه" هذه الدراسة مناقشة لآراء

الدكتور جاسر أبو صفة فى دراسته النقدية عن "بانة سعاد".  
لا شك أن كل البحوث و الدراسات التى تمّت حول القصيدة تكون ذات قيمة و فائدة تمهّد الطريق للباحثين كما استفدنا منها نحن و اعتمدنا عليها فى إعداد مقالنا هذه، على أية حال فإننا نعتقد أن قصيدة بانة سعاد مع كثرة و ضخامة الأعمال التى أعدت حولها إلا أنها مازالت تحمل فى طياتها المزيد من جماليات اللغة و الأسرار البيانية التى يمكن إزاحة اللثام عنها فى ظلّ الدراسات السيميائية.

## ٢. مفهوم السيميائية

السيميائية علم و منهجية ذات نزعة علمية شأنها شأن الرياضيات و الفيزياء، و مشروع هدفه الكشف عن المعانى و كيفية صنعها (بوخاتم، ٢٠٠٤: ١٧٢). لعلّ أهم نموذج من المصطلحات الألسنية السيميائية التى حظيت باهتمام النقاد و الدارسين هو مصطلح السيميولوجية (المصدر نفسه: ١٧١).

السيميولوجيا هو علم العلامات أو الاشارات أو الدلالات اللغوية أو الرمزية، سواء أكانت طبيعية و لا يتصرف الانسان فيها كصوت الحيوانات أو عناصر الطبيعة أو الأصوات الدالة على التوجع و الألم مثل آه، آى، و... أم اصطناعية و يتوافق الإنسان فى مدلوله و مقصوده عليها مثل لغة الانسان أو علامات المرور (مجيدى؛ آسيه فولادى، ١٣٩١: ٢٨). السيميائية أداة لإثراء القراءة و هى نموذج أنسب لتصور قراءة داخلية دقيقة لبنية النصّ و نسيجه، قراءة لا تتحد ميكانيزيتها و استراتيجيتها إلا بتفكيك أو بتشريح بنية النصّ، فيصبح الإجراء الذى يعتمد على التفكيك و التشريح أساساً جوهرياً لمفهوم القراءة الداخلية (المصدر نفسه: ٢٩)

الشعر عبارة عن رحلة أدبية من معنى إلى معانٍ تتوالى فى تسلسل

دومينوي كل معنى يفتح الطريق لمعنى آخر في ظل دلالات سيميائية قد تغيب معانيها في غياهب رمزيتها (حق شناس و لطيف عطاري، ١٣٨٦: ٣٣). يرى ريفاتر الشعر كتلة من الرموز السيميائية التي تلتف حول أفكار الشاعر النفاذ القوقعة حول دود القز (باينده، ١٣٨٨: ١٦٧). و في السياق نفسه لابد لتلقى أفكار الشاعر من تجاوز الدلالات الظاهرية و التغلغل في ما وراء ظواهر الألفاظ حيث تكمن الإشارات السيميائية الخفية و لا يتسنى ذلك إلا من خلال استخدام السيميائية التي تهتم بمطالعة أسلوية الدلالات الموجودة في الشعر (مكاريك، ١٣٩٠: ٣٢٦).

### ٣. القسم التحليلي

#### ٣-١. دراسة القصيدة

استهل الشاعر قصيدته بالتغزل على الرغم من أنه أنشدها بين يدي الرسول الأعظم (ص):  
 بانة سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفدا مكبول  
 (زهير، ١٩٩٤: ٢٧)

نلاحظ أن الشاعر أعرب في مطلع القصيدة و بقلب مفعم بالأحزان عن آلامه و أوجاعه لفراق الحبيبة و حنينه إليها. لو أمعنا النظر إلى المقدمة الغزلية للقصيدة و قمنا بمقارنتها مع المقدمات الغزلية لسائر القصائد الجاهلية لأدركنا أن المطلع الغزلي لقصيدة بانة سعاد يختلف بشكل أو بآخر عن غيره، إذ أن صاحب القصيدة و هو كعب بن زهير أراد أن يخلق أجواء تتناغم مع مغزى القصيدة و فحواها. فإذا كان الشاعر لابد له من استفتاح القصيدة بالمطلع الغزلي فمن الأحرى أن يجعل الاستفتاح الغزلية أداة فنيّة تساعد على بلورة مشاعر الحزن و القلق لدى صاحب القصيدة إذ نراه يتحدث عن حبيبته بنبرة سلبية

تتلائم مع الحالة النفسية المزرية التي تنتابه حين مثوله أمام سيّد الرسل (ص). جرت عادة الشاعر الجاهلي على ذكر الأطلال و الرسوم البالية التي تذكّره بحبيته الطاعنة، فيكي متحسراً على الأيام الماضية التي قضاها معها. ثم يتغنى بجمالها الجسدي و يشبّها بالطّباء تارةً و بالمها تارةً أخرى لسواد عينيها و سعتها. لو اعتبرنا المقدمة الغزلية في القصائد الجاهلية تعبيراً عن المشاعر الدفينة لدى الشاعر إذاً بإمكاننا أن نكتشف السرّ في إتيان كعب بن زهير بالمقدمة الغزلية بالطريقة التي تختلف عن القصائد الجاهلية المألوفة. لاننسى أنّ كعب بن زهير أقدم على نظم قصيدته دفاعاً عن نفسه و حفاظاً على حياته أمام النبيّ (ص) إذ أنه كان قد طعن أخاه بجير على إسلامه و أهان الرسول الكريم بحيث جعل الرسول (ص) يستبيح دمه. فلما أيقن أنّ الخطر استفحل و لم يجد أمامه بداً إلاّ التوبة و الإنابة أقبل على الرسول (ص) منشداً بين يديه قصيدته الشهيرة و ربّما كان السرّ في إختيار الشاعر إسم سعاد لحبيته الافتراضية اشتقاق الكلمة من السعد الذي يبعث على التفاؤل و الأمل لدى الشاعر. و لا يخفى أنّه كان في أمسّ الحاجة إليه في ذلك الظرف الرهيب. يذكر أنّ بعض الباحثين اعتبروا سعاد حبيبة الشاعر الحقيقية و اعتبروا مقدمته الغزلية تقليداً للقصيدة الجاهلية. لكننا نقول ردّاً على ما قاله الباحثون بهذا الشأن إنه يبدو أنّ كلمة سعاد أكثر ممّا تدلّ على عشيقّة الشاعر الحقيقية، ترمز إلى مشاعره الداخلية من التطلّع إلى الحياة و البقاء و الأمل في الهدوء و الأمن. ربّما بإمكاننا أن نقول إنّ كلمة سعاد لها دلالة سيميائية على كرم النبيّ (ص) و عطفه و حنانه قبل أن تكون مجرد اسم لحبيبة الشاعر. و لما كان الشاعر في ذلك الموقف الحرج بحاجة ملحةً إلى عفو النبيّ (ص) استخدم كلمة سعاد لتدلّ على حبيته أولاً، و ترمز إلى كرم النبيّ (ص) و عفوه ثانياً.

و ممّا يؤيّد هذا الرأى أنّ الشاعر لم ينهمك في وصف جمال الحبيبة و لم

يتطرق إلى الوقوف على الأطلال و الدمن و لم يبك على أهلها و ساكنيها  
الظاعنين إلى أرض أخرى و لم يتحدث عن ذكريات أيام الصبا التي قضاها مع  
الحيبة شأن سائر الشعراء الجاهليين. علماً بأن هذه المعاني و ما شابهها هي  
الدعامة التي تقوم عليها المقدمة الغزلية في الشعر الجاهلي. علاوة على ذلك أن  
المفردات التي استخدمها الشاعر في مستهل القصيدة ك(متبول، متيم و مكبول)  
تحمل شحنة كبيرة من مشاعر الحزن و الاستياء، و هي أصدق دليل على أن  
الشاعر يعيش حالة من القلق و الارتباك نتيجة ذعره و هلهه من موقفه الرهيب.

لذا أراد الشاعر أن يبدأ قصيدته بالمطلع الذي يتجاوب مع مشاعره البائسة  
و الموقف الخطير الذي يعيشه قبل أن يناله عفو النبي (ص) و عطفه. و من  
الطريف بمكان أن الشاعر ظل يستطرد في البيت الثالث من القصيدة من وصفه  
لسعاد إلى وصفه لريقتها فأوغل في وصف الريق حتى شغله عن وصف الحبيبة  
بحيث إن المخاطب قد يشعر أن الشاعر نسي أو تناسى عشيقته. ما يقودنا إلى  
القول بأن الشاعر ريثما يتغزل بحبيبته سعاد لا يقدر على التركيز على  
شخصيتها الحقيقية، إذ إنه يعاني من الأهوال و المخاوف التي تساوره عند  
وقوفه بين يدي الرسول الكريم (ص) كشاعر مهدور الدم:

و ما سعادُ غداةَ البين إذ برزت      إلا أغنَّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ  
تجلُّو عوارِضَ ذي ظلمٍ إذا ابتسمت      كأنه منهلٌ بالراح معلولُ  
(المصدر نفسه: ٢٧)

نُعيد إلى الأذهان أن الأوصاف التي وصف بها الشاعر حبيبته سعاد في  
بدايته الغزلية، تكتسى طابعاً رمزياً إذ تلك الأوصاف (أغن، غضيض الطرف و  
مكحول) تدل على وجود حالة من انجذاب و انبهار في نفس الشاعر تجاه  
النبي (ص) أكثر مما يدل على أوصاف واقعية في الحبيبة، فإنها تعبر تعبيراً  
سيمائياً عن مدى شغف الشاعر و ولوعه بالعفو النبوي مع الأخذ بنظر الاعتبار

أن كلمة "غضيب الطرف" مأخوذة من "غض الطرف" و هي تناسب المقام حيث تدلّ على العفو و الإغضاء. فقد أتضح ممّا سبق أن كعب بن زهير أفصح عن حالته النفسية المزرية بكلمات تحيطها الدلالات السيمائية و ممّا يقوّى و يؤيد هذه الرؤية أن الرسول الأعظم (ص) لم يلّم كعباً على مقدمته الغزلية؛ ما يدلّ على تجاوب النبي (ص) مع نفسية الشاعر المضطربة و ما يجول بداخله من المخاوف و الأهوال. بناءً على ذلك فإننا لم نبالغ إذا عبّرنا عن القصيدة بأنّها منظومة سيفسائية من الدلالات السيمائية يوحىها الشاعر إلى السّامع فيأخذها معه إلى عالم الأسرار و الألغاز (فراي<sup>٢</sup>، ١٣٤٣: ٤٢).

ممّا يسترعى الانتباه أن الشاعر أعرّض من البيت السادس عن أوصاف سعاد الجسدية و توجّه إلى صفاتها الروحية فوصفها بعدم الوفاء و الكذب و الظلم و التّقلب ممّا يشعرنا بأنّ سعاد و الصفات التي تتّسم بها هي ترجمة سيمائية عن الهموم و الهواجس و القلق الذي حلّ بالشاعر إثر إباحة الرسول (ص) دمه. فالشاعر كان يعيش حينذاك حالة مزدوجة من الخوف و الرجاء. الخوف من عقوبة النبي (ص) الذي أهانه و انتهك حرّمته، و الرجاء إلى عفوهِ نظراً لشخصيته الكريمة و خلقه العظيم و شريعته السهلة السّمحة.

و نعيد إلى الأذهان أنّه لم يكن من عادة الشعراء الجاهليين وصف الحبيبة بالصفات الذميمة مهما بلغ جورها للعاشق المتّيم. و لكن عدل كعب عن هذه العادة فنلاحظ في الأبيات التالية حيث وصف كعب بن زهير عشيقته سعاداً بالأخلاق الذميمة من الكذب و الإخلاف و تلوّن المزاج و عدم الوفاء بالحبّ.

أَكْرَمُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهُ صَدَقَتْ	مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَّحٌ وَ وُلْعٌ وَ إِخْلَافٌ وَ تَبْدِيلُ
فَمَا تَدُومُ عَلَيَّ حَالُ تَكُونُ بِهَا	كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ
وَ مَا تَمْسِكُ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتَ	إِلَّا كَمَا تَمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
فَلَا يَغْرُنُّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ	إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ



كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا      وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ  
أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَدُنُو مَوَدَّتُهَا      وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ  
(زهير، ١٩٩٤: ٢٩-٢٨)

من أبرز الإيحاءات السيمائية التي نلمسها في الأبيات السابقة هي أن كعباً يكتنفه شعور الخيبة و اليأس، حيث أدى إلى قطع علاقته بسعاد لأنها لم تعد تبعث على الطمأنينة و الاطمئنان في نفس الشاعر " بل بالعكس أعطته الشعور بالتضليل و الخداع "إن الأمانى و الأحلام تضليل" إن استخدام الشاعر أداة "لو" الشرطية الإمتناعية في بيت واحد من قصيدته كما أسلفناه سابقاً « أَكْرِمُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ » يحمل دلالة سيمائية على تشاؤم الشاعر و خيبة أمله حيال سعاد التي خالطت أوصاف الجفاء و الكذب و الإخلاف دمها و لحمها فأصبحت تجرى في عروقها مجرى الدم.

يمكن اعتبار التشبيهات الرائعة التي وظفها الشاعر في القصيدة محاولة منه للتعبير عن حبه و إخلاصه للرسول الأعظم (ص) في ضوء المنهج السيمائي فإنه عندما شبه سعاد بالغول "كما تلون في أثوابها الغول" أو بالغربال الذى لا يحتفظ بالماء "كما تمسك الماء الغرابيل" أو بالعرقوب الذى أصبح مثلاً فى الإخلاف "كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً" لا يريد إلّا الابتعاد عن حبيبة خيالية و وهمية "سعاد" و الإقتراب إلى حبيبة حقيقية النبى الأعظم (ص). يمكن القول إن سعاد هي صورة رمزية عن شخصية الشاعر الجاهلية التى نشأت و ترعرعت على الكذب و الإخلاف و النفاق و الاستعلاء.

لا يمكن لشاعرنا زيارة الرسول (ص) و الاجتماع معه إلّا إذا تخلى عن شخصيته الجاهلية و صار مستعداً للقبول بشخصية جديدة يتحلّى بها فى ظلّ شريعة النبى (ص) النابضة بالخلق السامية. ركب شاعرنا ناقته الطيعة و بدأ رحلة طويلة شاقّة عبر الصحارى و الفلوات للوصول إلى الحبيب و بإمكاننا أن

نفسر هذه الرحلة أشواطاً رمزيةً قام بها كعب للتخلص من شخصيته الجاهلية و التقمص بشخصية إسلامية في نهاية المطاف:  
 أمست سعاداً بأرضٍ لا يُبلَّغها إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ  
 (زهير، ١٩٩٤: ٣٠)

طالما يكون الشعر لغة الرمز و السيمائية يعود بالإمكان اعتبار كل لفظة منها ذات معانٍ متعدّدة تتمّ عن رصيد معنوي ضخم لا يمكن تفسيره إلا في ضوء الدراسات السيمائية. فإنّ الشعر محاولة أدبية لخلق معانٍ مختبئة وراء رموز دلالية لا تتمكّن من خوض معانيها إلا بفكّ الطلاسم عن رموزها و ألغازها و بالإعتماد على الاتجاه السيمائي (أحمدى، ١٣٨٠: ١٢١). لو أردنا إزاحة الستار عن رمزية الناقّة في البيت السابق يمكننا القول بأنّ الناقّة التي امتطها الشاعر في رحلته إلى حضرة الرسول (ص) هي عبارة عن قلب الشاعر. كما نستطيع القول إنّ الترحال الذي يتحدّث عنه شاعرنا في المقطع السابق لم يكن سفراً مادياً على أرض الواقع بل إنّ سفر رمزيّ تمّ في داخل الشاعر. و كما أنّه يتمّ استخدام الناقّة في الأسفار المادية يستخدم القلب أيضاً في الأسفار المعنوية. ثمّ إنّ المسافة الشاسعة التي قطعها الشاعر أثناء سفره الرمزيّ ترمز بدورها إلى انتقال الشاعر من حالة التيه و الضياع إلى حالة الوعي و اليقظة.

ترمى الغيوبَ بعيني مُفردٍ لهقٍ إذا توقّدت الحُزْنَ والميلُ  
 (المصدر نفسه)

من الملاحظ أنّ كعباً شبيهه ناقته في البيت السابق بالمها التي تقطع الطرق الوعرة بمفردها فهي رغم أنّها لاتصطحب القطيع و لكنّها لا تضلّ الطريق و ذلك لقوّة ذكائها وحده بصرها. ربّما نستطيع القول و في ضوء الدراسة السيمائية للبيت أنّ المها المفردة التي تخلفت عن القطيع هي الشاعر نفسه. علماً بأنّ كلمة مها هنا تجسيد للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر؛ فإنّه في طريقه

إلى حبيبه رسول الله (ص) أشبه ما يكون بالمها المنفردة التي تجتاز الهضاب و الوهاد أصف إلى ذلك أن تشبيه الشاعر نفسه بالمها الضائعة يحمل دلالة رمزية على "حالة القلق و الارتباك التي يعيشها الشاعر أثناء ترحاله إلى الحبيب محمد (ص) في ظل الإحياءات السيمائية" (محمد، ١٩٩٦: ٦٦-٦٥).

و من الملفت للنظر أن لكلمة "الغيوب" الواردة في البيت دلالة مزدوجة تدلّ من جهة على مجاهل الأرض و متاهاتها التي تختفى عن النظر عادةً و من جهة أخرى توحى بالمستقبل المجهول الذي يترقبه الشاعر خائفاً و هو في سبيله إلى الرسول الأعظم (ص) الذي توعدّه و أهدر دمه و لكن يرجو عفوه و رحمته في الوقت نفسه؛ و هذا التفسير السيمائي للبيت يتناسق مع حالة الشاعر النفسية و الشعورية أجمل تناسق (المحاسنة، ١٤٢٦: ٥٠٤).

مازالت الأبيات تصوّر الحالة النفسية المرتبكة التي سيطرت على الشاعر تصويراً قائماً على الإحياءات السيمائية، فالشاعر رسم في الأبيات السابقة صورة الإبل التي فتحت ذراعيها و هي تركض بأقصى سرعتها إلى المأوى. فالصورة التي ارتسمت في مخيلة الشاعر بعد رؤية الناقة هي صورة تنطبق على المرأة الثكلى التي ترفع يديها لتمزق بهما جيبها و تلطم خديها في عويل و بكاء شديدين تشاركها فيهما نساء ثواكل. لم يستخدم الشاعر هذا التشبيه عن طريق الصدفة، بل إن الظروف الصعبة التي يمرّ بها الشاعر تبعث في نفسه حالة من الذعر و القلق تنسجم مع الصورة التي وصفها في أبياته. إذ أن الشاعر عادةً ما يلتقط من الصور التي يشهدها على أرض الواقع ما يتواكب مع الأنغام التي تعزفها قيثارة نفسه. و في هذا السياق يمكن القول إن صور الخيال التي و ظّفها كعب في قصيدته "بانة سعاد" تتلائم مع ما يختلج بداخله من مشاعر الخوف و الأمل و الحزن و السرور التي انصهرت في أتون نفسه:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ  
وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْكُورِ الْعَسَاقِيلُ

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْجَرْبَاءُ مُضْطَجِمًا      كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ  
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ      وَرُقَّ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا  
شَدَّ النَّهَارَ ذِرَاعًا عَيْطَلُ نَصَفِ      قَامَتْ فَجَاوِبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ  
نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَعَيْنِ لَيْسَ لَهَا      لَمَّا نَعَى بِكَرْهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

(زهير، ١٩٩٤: ٣١)

سبق أن قلنا بأن الحالات النفسية التي عاشها كعبٌ شكّلت النواة الرئيسة لقصيدته الشهيرة بانت سعاد فكما لاحظنا أن صورة الخوف و القلق كانت أبرز و أوضح في الأبيات الأوائل من القصيدة لكننا نشاهد من البيت الثالث عشر تحولاً أساسياً فيها هو أن حالات من الأمل و الثقة باتت تسيطر عليها، فنرى أن الاحساس بالأمن و الإطمئنان أخذ من نفس الشاعر كل ما أخذ بحيث إنه لم يعد يشعر بالضجر و الملل حيال ما قاله الوشاة فيه بل عبّر بلغة صارمة و صريحة عن أمله و تفاؤله بالمستقبل المشرق:

يَسْعَى الْوُشَاةُ بَجَنَبَتَيْهَا وَقَوْلُهُمْ      إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ  
وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ      لَا الْهَيْئَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ  
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ      فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ  
كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ      يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءٍ مَحْمُولُ

(المصدر نفسه: ٣٧).

ردّ الشاعر في الأبيات السابقة على مقالة السعاة بأسلوب حكيم و قويم ينبئ عن إيمانه و ثقته بما خبأ له الرحمن "فقلتُ خلُّوا سبيلي لا أبا لكم / فكلُّ ما قدّر الرحمن مفعول" ففي كلمة "الرحمن" التي وظّفها الشاعر دلالة سيمائية قوية على حالة الاستقرار و رباطة الجأش التي استولت على نفسه.

لدى بعض الأدباء لغة الشعر لغة تصويرية أكثر من كونها تعبيرية، فإنها تجسّد و لاتبيّن (أحمدى، ١٣٨٠: ٥٢٦). و بعبارة أدقّ و أصحّ أن الشعر هو ما يوحيه إنسان إلى إنسان (فراى، ١٣٦٣: ٦٢). كما نلاحظ في الأبيات التالية أن

الشاعر ذكر لقب النبىّ الأعظم (ص) دون أن يصرح باسمه الشريف. ما يلمح إلى أنه أراد الاعتراف برسالة النبىّ (ص) و نبوته. زد على ذلك أن الشاعر وظّف فى البيت الثالث بدل من اسمه المبارك موصول "الذى" و هو حسب ما أفاده البلاغيون يؤكد المعنى الذى تحتوى عليه صلته و هو فى البيت، تأكيد على رسالة الرسول (ص) التى أقرّ بها الشاعر فى البيت السابق:

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي	وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِرًا	وَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً	الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ	أُذْنِبْ وَقَدْ كَثُرَتْ فِي الْأَقْوِيلِ
لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا لَوْ يَقَوْمُ بِهِ	أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ
لَظَلَّ يَرْعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ	الرُّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ

(المصدر نفسه: ٣٨-٣٩)

نرى أن الشاعر فتح فى البيت الرابع فصاعدا نوافذ أمام القارئ ليُشاهد من خلالها ما يعانیه من حالة الكبت و الإحباط نتيجة ما سمعه من السنة الواشين. إلّا أن شاعرنا استمدّ من الفيل ليجسد ما فى نفسه من المأساة تأكيدا على أن الفيل مع أنه أكبر و أضخم حيوان على وجه الأرض لا يحتمل ما يواجهه الشاعر لو كان مكانه.

نستطيع القول إن قصيدة "بانة سعاع" محاولة ناجحة للتعبير عمّا يراود الشاعر من عواطف الحزن و الأسى. إذا مدح الشاعر الرسول (ص) فإن مدحه لم يكن غرضاً رئيسياً بل جاء ضمن الاعتذار الذى قدّمه للنبىّ محمد (ص). فالقصيدة يمكن اعتبارها قصيدة إعتذارية أنشدها كعب فى حضرة الرسول (ص) يستعطف عفوّه. فإنّه أراد أن يمهد الطريق و يوفر الأرضية للاعتذار بين يدي الرسول (ص) عمّا فعله من إساءة له و للإسلام. كأنه أراد أن يصور حالة الندم و التوبة التى خيّمّت على نفسه أثناء مثوله أمام الرسول (ص).

فكلّ ما نطق به كعبٌ في رحاب الرسول (ص) يصبّ في سياق الاعتذار لعلّ الرسول يتجاوز عن ذنبه.

استخدم كعب مواهبه الشعرية كلّها و استجمع خياله الطاغى لكى يصوّر للسامع المشهد الذى يزور فيه الرسول الكريم (ص) تصويراً صادقا. فاستمدّ كعب من خلفيته الجاهلية و شبه النبى محمداً (ص) بالأسد الشجاع الذى يفوق أقرانه فى حلبة السباق. مما يزيد من أبهة الأسد وهيبته عند السامع أنّه توجد فى عرينه أشلاء متناثرة للوحوش التى اغتالها و تتغذى منها أشباله دائماً. لا يجرؤ أحد مهما كان جسوراً و قوياً أن يمرّ بأجمة الأسد لأنه سرعان ما يلتهمه كوجبة شهية له. افتنّن الشاعر فى تصوير الأسد بالأوصاف التى تدلّ على شدة بأسه و قوة عزمه ليعبّر عن موقفه الصعب عند لقاء الرسول الأمين (ص):

لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أَكَلْتُهُ	وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ
مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الْأَسَدِ مَسْكَنُهُ	بِبَطْنِ عَثْرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلٌ
يَعْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا	لَحْمٌ مِّنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ	أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولٌ
مِنْهُ تَظَلُّ حَمِيرُ الْوَحْشِ ضَامِرَةٌ	وَلَا تَمْشَى بَوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ
وَلَا يَزَالُ بَوَادِيهِ أَخْوَثَقَةٌ	مُطْرَحَ الْبِزِّ وَالْدَّرْسَانَ مَأْكُولُ

(المصدر نفسه: ٤٠)

يرى كعب أنّه لامناص له من صولة هذا الأسد الذى يرمز إلى النبى الأعظم (ص) إلّا إذا حصل على عفوه و كرمه فيمدّ يده إلى الرسول (ص) طالباً بمصافحته فصافحه النبى (ص) و هو بغضّ الطرف عمّا فرط من الشاعر من جهالة و إساءة فما إن وضع كعب يده فى يد الرسول (ص) حتى امتلأ كيانه بالاطمئنان و الثقة و الأمان:

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْزَعُهُ      فِي كَفِّ ذِي نَعَمَاتٍ قَيْلُهُ الْقَيْلُ

(المصدر نفسه: ٤١)

و ما يدلّ على نجاح الشاعر في قصيدته هو توظيفه لمشاعره الصادقة من جهة و الإيحاءات السيمائية التي وظّفها فيها من جهة أخرى. فإذا نظرنا إلى القصيدة من رؤية سيمائية فبإمكاننا أن نعتبرها قصيدة ناجحة موحية؛ إذ: «أنّها أثّرت في نفس الرسول الكريم (ص) إلى درجة حملته على الإغفاء عن الشاعر الذي طالما أساء إليه و إلى أصحابه» (الشرقاوى، ١٩٩١: ٢٠٧). و ممّا زاد من رمزية القصيدة أنّ النبيّ (ص) أعطى شاعرنا بردهته فور انتهائه من إنشاد القصيدة و هي أفضل و أثنى ما يمكن أن يعطى للشاعر لما فيها من قدسيّة و طهارة و روحانية. و البردة هنا لاتخلو من دلالة سيمائية إذ يمكننا تفسيرها من منظور سيميائيّ بأنّها صفحة جديدة مشرقة لحياة الشاعر بعد أن خلّف و راءه فترة مظلمة من حياة الكفر و الضلال.

#### ٤. نتائج البحث

- لقد توصلنا من خلال دراستنا السيمائية لقصيدة "بانة سعاد" إلى نتائج منها:
١. المقدمة الغزلية التي بدأت بها القصيدة تتجاوب و موضوع القصيدة الذي يصبّ في سياق الاعتذار.
  ٢. المعاني و الدلالات التي تحملها قصيدة "بانة سعاد" هي تجسيد تامّ للحالة النفسيّة المزرية للشاعر إثر تهديد الرسول الأعظم حياته و إهدار دمه، و ذلك في ظلّ الدلالات السيمائية التي صاحبت القصيدة.
  ٣. القصيدة تعكس المخاوف و القلق الضاغط على نفسيّة الشاعر في ضوء الدلالات الرمزية و الإيحاءات السيمائية التي شكّلت لحمة القصيدة. فتمّة تلائم واضح بين ألفاظ القصيدة و دلالاتها.
  ٤. تردّدت في القصيدة ألفاظ تدلّ على إيمان الشاعر بالإسلام و اعترافه برسالة الرسول (ص) بعد إنكاره لها و من أبرزها: الإسلام، القرآن، محمد

رسول الله (ص) و ماشايها.

٥. تأثرت الأبعاد الشكلية للقصيدة بمضامينها و الأجواء المحيطة بها بحيث باتت تختلف عن شكلية القصيدة الجاهلية أحياناً كما عالجنه عند دراستنا للمقدمة أو ما تعلق بوصف الإبل و الأسد و الترحال و الحبيبة و غير ذلك من الكلمات المتناسقة في منظومة سيفسائية رائعة تخدم الأفكار الرئيسة التي رسمها كعب للقصيدة.

٦. يمكن اعتبار قصيدة بانت سعاد صورة واضحة عن الحالات النفسية للشاعر عند مواجهته الرسول الكريم (ص) للتعبير عن حالة الندم و الاعتذار في رحابه المبارك.

٦. يمكن اعتبار القصيدة في ضوء الرؤية السيميائية مرآة صافية تعكس نفسية الشاعر المضطربة و المواقف العصبية التي يمر بها.

٧. البردة التي أعطاها الرسول الكريم (ص) للشاعر كجائزة ترمز إلى طي صفحة الماضي و فتح صفحة جديدة من الحياة الكريمة في أجواء الأيمان بالله و رسوله الأعظم.

الهوامش:

١. و جاء في بعض الروايات بدل لم يفد «لم يُجز».
٢. Frye.
٣. الحزان: واحدها حزيز و يقال أحزّة و حُزان. الأرض الغليظة و الوعة.
٤. و جاء في رواية أخرى: من ضيعم من ضبراء الأسد مُخدرُهُ.



## ٥. المصادر و المراجع

١. احمدي، بابك، (١٣٨٠)، ساختار و تأويل متن، الطبعة الخامسة، تهران: نشر مركز.
٢. ....(١٣٧٤)، حقيقت و زيبايي، تهران: نشر مركز.
٣. بوخاتم، مولاي علي، (٢٠٠٤)، مصطلحات النقد العربي السيماءوي "الإشكالية و الأصول و الامتداد"، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
٤. سيد ابراهيم، محمد، (١٩٨٦)، قصيدة بانة سعاد و أثرها في التراث العربي، بيروت: المكتب الاسلامي.
٥. الشرفاوي، احمد اقبال، (١٩٩١)، بانة سعاد في إلامات شتّي، بيروت: دار الغرب الاسلامي.
٦. شفيعي كدكني، محمد رضا، (١٣٥٨)، موسيقي شعر، تهران: انتشارات توس.
٧. فراي، نور تروپ، (١٣٦٣)، تخيل هوشمند، المجلد الأول، تهران: مركز نشر دانشگاهي.
٨. محمد، محمد سالم، (١٩٩٦)، المدائح النبوية حتى العصر المملوكي، دمشق: دارالفكر.
٩. مكاريك، ايرنا ريما، (١٣٩٠)، دانش نامه‌ي نظريه‌هاي ادبي، تز: مهران مهاجر و محمد نبوي، تهران: نشر آگاه، الطبعة الرابعة.
١٠. زهير، كعب حنا، (١٩٩٤)، ديوان كعب بن زهير، المحقق: نصرالحتي بيروت: دارالكتاب.

## المقالات

١١. پاينده، حسين، (١٣٨٨)، نقد نشانه شناختي شعر زمستان، نشرية فرهنگ و هنر گوهان، شماره: ص ٢١-٢٢.
١٢. حق شناس، محمد علي، لطيف عطاري، (١٣٨٦)، نشانه شناسي شعر، مجله دانشگاه تهران دانشكده ادبيات و علوم انساني، دوره ٥٨، شماره: ص ٣.
١٣. مجيدي، حسن و آسيه فولادي، (١٣٩١)، التحليل السيمائي «الناس في بلادى» لصالح عبدالصبور، مجله دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، العدد السادس عشر: صص ٢٧-٤٩.
١٤. المحاسنة، علي ارشيد، جاسر ابو صيفه، (١٤٢٦)، قصيدة بانة سعاد دراسة نقدية، أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها، المجلد ١٧، العدد ٣٣.



پروہشگاہ علوم انسانی و مطالعات فرہنگی  
پرتال جامع علوم انسانی